الكتاب : الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان
المؤلف : الدكتور عبدالله عزام
الناشر : جامعة الدعوة والجهاد - بشاور .

الدفاع عن أراضي المسلمين

أهم فروض الأعيان

ان عرض الكتاب - على صغر حجمه - لايعطي الصورة كاملة ولاينقل الفكرة واضحة مثلما تعيش في غمرة أدلته الفقهية لتحمل القناعة الصافية مشبعة بنبضات قلب الكاتب وبحرارة الايمان وحرقة الاخلاص .

وانك لتعرف صاحب الكتاب وما أظنك تجهله . وهاهو هنا يرابط في صحبة المجاهدين الأفغان ومن خلال حياته بينهم سبق أن خرج كتابه (**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**) ثم تبعه ذلك البحث الفقهي المستمد من بطون كتب التراث وفتاوى الائمة الاعلام .

لقد سبق أن نادى **عبدالله بن المبارك** رحمه الله في علماء عصره أن يهبوا الى الجهاد:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب .

واني لأجد في أستاذنا صورة متجددة لابن المبارك حين أراه يهيب بالمسلمين أن يعرفوا خطورة التنكب عن حماية أراضي المسلمين ، وأن يسارعوا لنصرة قضية المجاهدين الأفغان قبل أن يفوت الأوان .

وحبذا لو سارع الى هذه الساحة الجهادية عدد من الدعاة ليكونوا له عونا في عمل قل أن يقوم به رجل واحد ، وهاهو الشيب يتكاثر في لحيته وهو يغدو ويروح واعظاً ومربياً وساعياً ومصلحا وداعيا ومذكرا ولياليه من حديث الا الجهاد ومايشغل فكره الا قضية أفغانستان بعدما حيل بينه وبين الجهاد في فلسطين ذلكم هو الكاتب ، فهيا بنا نجول بعض الجولات في لبّ الكتاب

أول شئ يلفت انتباه القارئ ذلك الكمّ الهائل من الأدلة النقلية والنصوص الفقهية ، أما الأدلة النقلية فلم يكن يستشهد بحديث أدنى من الحسن ، وأما النصوص الفقهية فانها لتدل على غزارة اطلاع وطول باع ، تجد فيها شفاء لكثير من المسائل الطارئة المتجددة والقضايا المطروحة التي ماكنا نظن أن فقهاءنا سبق أن فكروا في استنباط حكم لها .

غير أن كاتبنا يعلق بعد عرض موضوع الكتاب فيقول (**ليست القضية بكثرة النصوص ووفرة الشواهد وانما الأمر متعلق بالقلوب .. ولذلك فان النصوص وحدها لاتكفي ولابد من بصيرة القلب حتى يبصر بها الحق ... ولامن التقوى حتى يظهر الفرقان ... ولهذا كانوا اذا أشكل عليهم وأعضلتهم مسألة يقولون : اسألوا أهل الثغور لأنهم أقرب الناس الى الله .**)

فلا تشغلنك الدراسة النظرية عن أن تبادر لتكون من أهل الثغور حيث يزول الريب من قلب المتردد ويزداد المؤمن ايمانا ويكون أقرب الناس الى الله .

لاقومية في الجهاد:

وانك لتلمس أن قضية الجهاد واحدة تعلو على القوميات . فلا فرق بين الجهاد في فلسطين وأفغانستان . غير أن تقديم الجهاد في أفغانستان في هذه المرحلة له مايبرره من استعار الحرب فيها واسلامية رايتها وحركية قادتها ووضوح ولاء

مجاهديها وانفتاح حدودها وتفرّد شعبها وطبيعتها .

الاستئذان في الجهاد .

وجدير بالذكر ما أشار اليه الكاتب بعنوان استئذان الشيخ والمربي حيث أكد أن من ثبت لديه أن الجهاد فرض عين فلا يمكن أن يفكر باستئذان أحد بالخروج اليه . فلا استئذان من دائن ولا والد ولا زوج ولا سيد ولا مربّ ..... وانها الصورة نراها ونسمعها حيث يبرر البعض تخلفهم عن القدوم بانهم استأذنوا فلم يؤذن لهم . ويؤيد قوله من فتاوى ابن تيمية حيث يقول : " اذا دخل العدو بلاد الاسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب اذ بلاد الاسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة ، وأنه يجب النفير اليه بلا اذن والد ولا غريم ، ونصوص أحمد صريحة بهذا "

جهاد الدفع :

ولا يفوتنا أن نؤكد أن الغرض الأساسي من هذا البحث انما هو دفع الالتباس وازالة الوهم لدى من لا يجزم بأن الجهاد فرض عين فجاء هذا الكتاب ليقول لهم : انه أهم فروض الأعيان لانه جهاد "دفع الكفار من بلادنا" : **" ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض "**

ويقول ابن تيمية : " واما قتال الدفع فهو اشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب اجماعا ، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شئ أوجب بعد الايمان من دفعه فلا يشترط له شرط - كالزاد والراحلة بل يدفع بحسب الامكان وقد نص على ذلك العلماء من أصحابنا وغيرهم " .

والنفير حتمي باستنفار الامام للناس أو بحاجة المسلمين الى النفير ، ويذكر الكاتب أن ابن حجر قال ذلك كما ينقل عن القرطبي قوله : " كل من علم بضعف المسلمين عن عددهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج اليهم . "

ويفصل ابن تيمية في قضية الخلاف بين "فرض العين" و"فرض الكفاية "في حكم الجهاد ، فيقول كلاما موجزا مفيدا نقله صاحب كتابنا هذا : " فاما اذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه فان دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب اجماعا . "

فكرة عاجلة .. لا تغني عن الكتاب :

حاولت أن أنقل الى الاخ القارئ بعض ما في الكتاب ليكون فكرة عاجلة لمن لا يجد متسعا من الوقت أو صبرا على المطالعة ، ولا غنية عن أن تحمل الكتاب بيديك فتبدأ به وأظن أنك لا تقوم بعد ساعتين من الزمن الا وقد قرأت لبابه وفهمت مراده وعرفت مقصده وسلّمت بكثير مما فيه .

وانك حينما تنظر الى ظهر صفحة الغلاف سوف تجد مجموعة من الأسئلة الهامة والمثيرة ، وانها ستحفزك للبحث عن اجاباتها بين ثنايا الكتاب .

لا تتركوا أخاكم وحيدا :

لئن أصاب أستاذنا فقد نال أجرين - أجر الاصابة وأجر الاجتهاد ونسأل الله له الأجر المثوبة والاخلاص في القول والعمل .

ولئن خالفه من خالفه فلا أظن هنالك خلافا في أصل الحكم الفقهي وانما قد ينشأ الخلاف حول تطبيق الحكم على الواقعة القائمة وفي الربط بين الفتوى الفقهية القديمة والحوادث الجديدة المفتي فيها .

وأيا كان الأمر فانك سترى بعين البصيرة أكثر مما ترى بعين الفكر المجرد حينما تعيش في ثنايا الكتاب متدبرا ومتفحصا ، متاملا وناظرا ، وبعدها انظر ماذا انت فاعل؟ لعلك ستشد الرجال بنية الرباط.....

وان كان أستاذنا قد أخطأ في شئ فعذره أنه بلّغ وما أراد بذلك الا وجه الله - واننا نحسبه من المخلصين وهذا ظننا فيه كما يعذره أن كثير من الدعاة والعلماء أحجموا عما أقدم عليه فوجد نفسه شبه وحيد في الساحة ، فحبذا لو يضيف المخلصون جهودهم الى جهده وسيكون الناتج أصوب ، وحبذا لو تسعى أخي القارئ للحصول على الكتاب لترى بعينك وليطمئن قلبك وتدعو بعدها أن يلهمك الله حسن العمل وتدعو لصاحب الكتاب بالتوفيق والقبول .